# الوجود السوفيتي في شبه الجزيرة العربية 1918 - 1928 من البدايات الى التوسع

# Soviet Presence in the Arabian Peninsula 1918-1928: From Beginnings to Expansion


د. رغداء عبد الامام فايز

**Dr. Raghdaa Abdul Imam Fayez**

جامعة البصرة

**University of Basrah**

raghdaa.fayez@uobasrah.edu.iq

د. فاطمة جاسم محمد علي

**Dr. Fatima Jasim Mohammed Ali**

جامعة البصرة

**University of Basrah**

Fatima.jasim@uobasrh.edu.iq



الكلمات المفتاحية: الاتحاد السوفيتي، شبه الجزيرة العربية، الشريف حسين، كريم حكيموف، عبد العزيز آل سعود.

**Keywords: Soviet Union, Arabian Peninsula, Sharif Hussein, Karim Hakimov, Abdulaziz Al Saud.**

**الملخص**

تتناول هذه الدراسة الجذور التاريخية للوجود السوفيتي في شبه الجزيرة العربية خلال المدة التاريخية من 1918 إلى 1928، وهي مرحلة تأسيسية شهدت تحولات جوهرية في السياسة الخارجية الروسية عقب الثورة البلشفية. اذ انتهج الاتحاد السوفيتي الناشئ سياسة جديدة تجاه الشرق قائمة على مناهضة الإمبريالية الغربية، واستمالة الشعوب الإسلامية، وفتح قنوات تجارية بديلة عن الشبكات التي تهيمن عليها القوى الاستعمارية، تجلى هذا التوجه في إرسال البعثات القنصلية إلى الحجاز وأبرزها بعثة كريم حكيموف، فضلا عن الاعتراف الدبلوماسي المبكر بحكم عبد العزيز آل سعود في عام 1926 حيث كان الاتحاد السوفيتي أول دولة تعترف به ملكا على الحجاز. كما امتد النشاط السوفيتي ليشمل اليمن من خلال توقيع معاهدة الصداقة والتجارة في عام 1928, غير أن هذه الجهود ظلت مقيدة بالمعارضة البريطانية الفاعلة والشح النسبي في الموارد السوفيتية التي كانت منصبة على إعادة البناء الداخلي. خلصت الدراسة إلى أن هذه المرحلة أرست أسسا دبلوماسية مبكرة للعلاقات السوفيتية العربية على الرغم من محدودية نتائجها العملية.

**Abstract**

This study explores the historical roots of the Soviet presence in the Arabian Peninsula from 1918 to 1928, a formative period marked by fundamental shifts in Russian foreign policy after the Bolshevik Revolution. The nascent Soviet Union pursued a new policy towards the East, founded on opposition to Western imperialism, efforts to win over Muslim populations, and the establishment of alternative trade channels outside colonial networks. This approach was exemplified by the dispatch of consular missions to the Hejaz, most notably the mission led by Karim Hakimov, as well as the early diplomatic recognition of Abdulaziz Al Saud's rule in 1926, making the USSR the first state to recognize him as King of the Hejaz. Soviet activities also extended to Yemen with the signing of a Treaty of Friendship and Commerce in 1928. However, these efforts remained constrained by active British opposition and the relative scarcity of Soviet resources, which were primarily directed toward internal reconstruction. The study concludes that this period laid early diplomatic foundations for Soviet-Arab relations, despite their limited practical outcomes.

**المقدمة**

شكلت الحقبة الممتدة من 1918 إلى 1928 منعطفا تاريخيا بالغ الأهمية في مسار العلاقات الدولية، إذ شهد العالم تحولات جذرية أعادت رسم خرائط النفوذ والتوازنات الاستراتيجية. ففي أعقاب الحرب العالمية الأولى وانهيار الإمبراطوريات الكبرى ولا سيما الدولة العثمانية، برزت قوى جديدة تسعى إلى ملء الفراغ الناجم عن هذا الانهيار وإعادة تشكيل المنظومة الدولية وفق رؤى مغايرة. وقد مثل الاتحاد السوفيتي الناشئ إحدى أبرز هذه القوى التي حملت مشروعا أيديولوجيا طموحا يتجاوز حدودها الجغرافية ليطال مناطق شاسعة من العالم.

جاءت الثورة البلشفية في عام 1917 لتحدث قطيعة جذرية مع إرث الإمبراطورية الروسية القيصرية وتوجهاتها التقليدية، حيث أعلن القادة الجدد تبنيهم لمبادئ مغايرة في العلاقات الدولية قائمة على حق الشعوب في تقرير المصير ومناهضة الاستعمار ودعم حركات التحرر الوطني. وقد أولت الحكومة السوفيتية اهتماما خاصا بالعالم الإسلامي انطلاقا من اعتبارات متعددة، منها وجود أعداد كبيرة من المسلمين داخل حدودها وعلى تخومها الجنوبية، ورغبتها في إضعاف الموقف البريطاني في مناطق نفوذه الحيوية، فضلا عن رؤيتها لدور الشعوب المستعمرة في الثورة الاشتراكية العالمية.

في هذا السياق التاريخي المعقد، بدأ الاتحاد السوفيتي يوجه أنظاره نحو شبه الجزيرة العربية التي لم تكن قبل ذلك هدفا مباشرا للسياسة الروسية. فقد ركزت الإمبراطورية القيصرية جهودها على الأراضي التركية والفارسية المجاورة لحدودها، بينما ظلت البلدان العربية بعيدة عن دائرة اهتمامها المباشر لأسباب عدة تتصل بخضوعها للسيطرة العثمانية وغياب الطبقة البروليتارية الثورية فيها وضعف المعلومات المتاحة عنها, غير أن المستجدات الإقليمية والدولية عقب الحرب العالمية الأولى، ولا سيما انهيار السلطة العثمانية وتنامي المشاعر القومية العربية وترسيخ الهيمنة البريطانية عبر نظام الانتداب، دفعت موسكو إلى إعادة النظر في حساباتها الاستراتيجية.

تكتسب دراسة هذه المرحلة التأسيسية أهمية بالغة لفهم التفاعلات التي حكمت العلاقات السوفيتية العربية في مراحلها اللاحقة، إذ أرست الجهود الدبلوماسية المبكرة أسسا ظلت تؤثر في

مسار هذه العلاقات لعقود. كما تكشف هذه الدراسة عن التفاعل المعقد بين الأيديولوجيا والمصالح الاستراتيجية في صياغة السياسة الخارجية السوفيتية، وعن البراغماتية التي أبداها القادة السوفييت في التعامل مع واقع الجيوسياسي لا يتطابق مع تصوراتهم النظرية. وتسعى هذه الدراسة إلى استجلاء ملامح هذا التوجه السوفيتي نحو شبه الجزيرة العربية وتحليل دوافعه وآلياته ونتائجه، مع إيلاء اهتمام خاص للعلاقات مع مملكة الحجاز والدولة السعودية الناشئة واليمن.

**أولا: السياق التاريخي للإمبراطورية الروسية وتوجهاتها التوسعية**

لم يأت القرن التاسع عشر إلا وأصبحت الإمبراطورية الروسية فاعلا رئيسا في السياسة الدولية، إذ شاركت في المنافسات الدولية من خلال صنع الأحداث ومزاحمة نفوذ الدول الأخرى، وجعل تنافسها معها آلية للتأثير والسيطرة الاقتصادية والسياسية لا سيما خارج أوربا. كان التنافس في القارة الأوربية محكوما بسياسة التوازن، تلك السياسة التي حكمت الوضع داخل أوربا، وكان أي إخلال بذلك التوازن يكون سببا لاندلاع الحرب فيما بين الدول الأوربية الكبرى. لذلك كانت الإمبراطورية الروسية جزءا من التحالفات والحروب والسياسات الأوربية، وإذا كانت الدول الأوربية الكبرى تتنافس على مناطق النفوذ داخل مناطق سيطرة الدولة العثمانية وعبر البحار والمحيطات، فإن سياسة روسيا التوسعية اختلفت إلى حد كبير عن تلك التي اتبعتها الدول الأوربية الأخرى , اذ ركزت روسيا في توسعها ومنذ عهد بطرس الأكبر، الذي حكم في المدة الممتدة من عام 1682 إلى عام 1725، على المناطق التي ترتبط بها جغرافيا ولم تتوقف عن توسعها إلا بالوقوف أمام حواجز طبيعية أو الاصطدام بدولة قوية لا تملك القدرة على هزيمتها مثل اليابان والصين والدولة العثمانية, وفي الوقت الذي كانت فيه روسيا تبني إمبراطوريتها وتؤدي دورها في السياسة الدولية من خلال المسرح الأوربي ومسرح الإمبراطورية العثمانية (الدوسري، 2004، 985–987). لم توجه أنظارها واهتمامها نحو شبه الجزيرة العربية، ولم يفكر قادتها في إقامة علاقات وثيقة ومستمرة مع بلدان وحكام شبه الجزيرة (رأفت، 1974، 15)، التي كانت خاضعة للنفوذ العثماني لتنتقل بعدها إلى الاحتلال الغربي(الأسدي، 2013، 8) , ولم تكن شبه الجزيرة العربية هدفا مباشرا للمشاركة السياسية المباشرة للإمبراطورية الروسية، التي ركزت بدلا من ذلك على الأراضي التركية والفارسية المجاورة إلى حدودها(kreutz, 2004, 2).

حتى ذلك التاريخ لم يكن الشرق الأوسط في نظر موسكو يعني أكثر من تركيا وإيران وربما أفغانستان، أما البلدان العربية فلم تكن تحتل مكانا كبيرا عند الروس لأسباب عدة: أولها أن أغلب البلدان العربية كانت تحت السيطرة العثمانية أو انفصلت لتوها عن الدولة العثمانية، ولم يكن بينها وبين الاتحاد السوفيتي أية علاقات دبلوماسية(ناؤومكين، 1997، 61) , ثانيهما وهو الأكثر أهمية عدم وجود طبقة بروليتاريا ثورية قوية بين السكان يمكن التعويل عليها، فضلا عن عدم وجود شعور قوي مناوئ للغرب يدفع الروس لمحاولتها تأسيس موطئ قدم لهم هناك (لاكو، 1959، 73). أما السبب الثالث فقد تعلق بالرؤية السوفيتية بشأن الشرق الأوسط والتي كانت مشوشة وغير واضحة قبل عام 1918، بسبب ضعف المواصلات بين دول العالم، فضلا عن صعوبة الحصول على معلومات دقيقة للتفكك العام الذي يسود داخلها(لاكو، 1959، 73).

**أ – التنافس الروسي البريطاني في منطقة الخليج العربي**

في سياق التنافس والصراع بين روسيا وبريطانيا، شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر اهتماما روسيا بالمشرق عامة، والجزيرة العربية والخليج العربي خاصة (الدوسري، 2004، 185–187), حاول الروس إيجاد منفذ لهم عبر سواحل الخليج العربي، الذي يعد المنفذ الوحيد أمامهم للتقدم إلى مضيق هرمز حيث الممتلكات البريطانية وتهديدها بشكل مباشر , وظل التنافس حتى عام 1907( الطالب، 1985، 21)، عندما شهدت منطقة الخليج العربي وما جاورها اتفاقا بين بريطانيا وروسيا استطاعت الأخيرة من خلاله الحصول على بعض المكاسب في تلك المنطقة، إذ تم اقتسام النفوذ في بلاد فارس حيث أطلقت روسيا يدها في الأجزاء الشمالية، وبقيت الأجزاء الجنوبية المطلة على الخليج العربي تحت النفوذ البريطاني (الصحاوي، 2015، 165) .

في سياق هذا التنافس، شهدت بداية القرن العشرين محاولات روسية ملموسة للحصول على موطئ قدم في منطقة الخليج العربي, ففي عام 1901 تقدم أمير الكويت مبارك الصباح بطلب للحصول على الحماية الروسية، وهو ما يعكس رغبة بعض الحكام المحليين في موازنة النفوذ البريطاني المتصاعد. سعت سان بطرسبورغ في تلك الحقبة إلى إنشاء محطة فحم لأسطولها في الكويت كخطوة للوصول إلى المحيط الهندي، كما فكر الروس في بناء سكة حديد تربط البحر المتوسط بالخليج. ووفقا للمصادر الروسية، لم ترغب الإمبراطورية الروسية في استفزاز بريطانيا

بشكل مباشر فرفضت حماية الكويت، لكنها أرادت إثبات أن (الخليج الفارسي) مفتوح لأساطيل جميع الدول بما فيها أسطولها الخاص77-71 1999K) , (Bocharov. فضلا عن ان المبعوثون الروس كانوا نشطين أيضا في مسقط وبعض الإمارات العربية الأخرى، لكن على ما يبدو دون تحقيق نجاح ملموس كبير، وربما دون عزيمة راسخة لتحدي الهيمنة البريطانية في تلك المناطق(Page, 1971, 9& Yemelianova, 1995, 284) .

كان للمصالح الروسية في شبه الجزيرة العربية ثلاثة أسباب رئيسة تمثلت في الآتي (سحب، 2015، 12):

1. المسعى الروسي الدائم للوصول إلى المياه الدافئة والبحار المفتوحة، فمن المعروف أن الاتحاد السوفيتي رغم اتساع رقعته الجغرافية يفتقر إلى المنافذ المطلة على البحار.
2. الصراع ضد الهيمنة البريطانية الذي استمر حتى عام 1907.
3. الأهمية الحاسمة لشبه الجزيرة العربية للإسلام التي كان لها دور كبير ومؤثر للعديد من رعايا الإمبراطورية الروسية.

**ب – الثورة البلشفية وتأسيس السياسة الخارجية السوفيتية الجديدة**

بينما كانت الحرب العالمية الأولى تدور رحاها قامت الثورة البلشفية في تشرين الأول 1917، وسرعان ما أعلن الزعماء البلاشفة الجدد ما سمي بمراسيم السلام (منصور، د.ت، 91)، التي أقرها مؤتمر السوفييت الثاني في الثامن من تشرين الثاني 1917، اذ اصدر لينين مرسوم السلام إلى كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا ، اقترح به الوقف التام للأعمال الحربية ، بأبرام سلام عادل على أساس عدم الضم والتعويضات ، وأعلن لينين المرسوم ذاته عن إلغاء الدبلوماسية السرية وعن عزمه إجراء المفاوضات دولية علنية وأمام العالم (زيدان؛ ثابت , معاهدة برست ليتوفسك،2015 ,6129 ) , وأكد فيها على المبادئ الديمقراطية للعلاقات الدولية. جدد فلاديمير لينين( 1870 – 1924)، أسس السياسة الخارجية السوفيتية، فأوصى بالحرص الشديد على العلاقات مع بلدان الشرق على وفق مبادئ التكافؤ والسيادة، ورسم النهج الذي يجب أن تسير عليه السياسة الخارجية السوفيتية في آسيا وأفريقيا(سحب، 2015، 14).

أولت الحكومة السوفيتية حديثة التأسيس اهتماما كبيرا بالعالم الإسلامي. ولقد كان هذا راجعا ليس فقط إلى وجود العدد الكبير من السكان المسلمين داخل حدودها وخارج حدودها الجنوبية، بل إلى رغبة البلاشفة في إضعاف موقف بريطانيا في الهند ورؤاهم لثورة اشتراكية عالمية حيث سيكون حتى للدول المستعمرة والمتخلفة دور تلعبه. وهكذا أصبح المسلمون في الاتحاد السوفيتي الأهداف الأساسية للتوجه الشرقي الجديد لروسيا، وبمجرد قبولهم للشيوعية فإنهم سوف يقودون هجوما شيوعيا في نهاية المطاف ضد المستعمرات البريطانية ومناطق النفوذ في الشرق الأوسط وجنوب آسيا. وفي إطار تلك السياسة حذر لينين في وقت مبكر من كانون الأول 1917 المسلمين الأجانب من أن استعبادهم ليس متوقعا من روسيا وحكومتها الثورية، بل من لصوص (الإمبرياليين الأوروبيين)، وواصل حثهم على الإطاحة (بالناهبين والمستعبدين) في بلدانهم . (Baldry, 1984,54)

وبدأ تنفيذ هذه السياسة في كانون الثاني 1918 من خلال إنشاء مفوضية إسلامية داخل مفوضية القوميات، وأبلغ ستالين الهيئة الجديدة أن المهمة الرئيسية لهذه المفوضية هي ضمان انتشار الفكر الاشتراكي في بلدان الشرق، والتخلص من سبات الشعوب المضطهدة في الشرق الذي دام قرنا من الزمان. وطرح مندوبو مفوضية المسلمين قرارا دعا فيه الشعوب المسلمة في الشرق إلى النهوض ضد (الإمبريالية الدولية)، وفي الوقت نفسه أعلنوا عن نيتهم في الاستعداد للحركة الثورية في الشرق. وفي الشهر التالي أعلن المكتب المركزي للمنظمات الإسلامية في الحزب الشيوعي الروسي أنه ستنظم خطة نشر أفكار الشيوعية بسرعة في الشرق وجذب جميع الشعوب المضطهدة (Baldry, 1984,54).

بدأت بعض حركات الاستقلال الوطنية بالظهور وحثت موسكو الجماهير الكادحة في الشرق على الإطاحة بالسياسات الاستعمارية (Baldry, 1984,53) ، لذا شهدت علاقاتها الخارجية مع العالم العربي تحولات جذرية، أصر فيها الحاكم الجديد للبلاد على تمثيل الثورة البروليتارية العالمية في تحديها ضد الهيمنة الرأسمالية الغربية. ووفقا لنظرية لينين القائلة بضرورة البحث عن الأصدقاء والحلفاء بين الشعوب المستعمرة وشبه المستعمرة(jkreutz, 2004, 4) ، كانت الخطوة الأولى للقادة الروس الجدد في العشرين من تشرين الثاني 1917 نشر نداء موجه إلى

جميع العمال المسلمين في روسيا والشرق لتأييد الثورة الروسية، والذي وضعه كل من لينين وجوزيف ستالين ضمن القرارات الخاصة بقضية المستعمرات(لاكو، 1959، 37).

**ج – تأسيس المنظمات الثورية وتوجهها نحو الشرق**

تأسست في موسكو منذ عام 1918 اللجان والمنظمات لتعليم المبادئ الاشتراكية، وتشكل اتحاد تحرير الشرق في تشرين الأول من العام نفسه، الذي مهد بدوره لعقد مؤتمر باكو للمدة من الأول إلى الثامن من شهر أيلول 1920, ويمكن عد انعقاد هذا المؤتمر والنداءات التي صدرت عنه بداية إلى أقطار الوطن العربي لتكوين أحزاب ترتبط بالأممية وتلتزم بقراراتها وتعمل كفروع لها (جاسم، 1980، 14). لكن سرعان ما أدرك الروس أن الأعداد الصغيرة من الشيوعيين في الشرق لن تتمكن من إحداث ثورة اشتراكية أو الإطاحة بالاستعمار أو النفوذ الغربي في بلدانهم(Baldry, 1984,53), على هذا الأساس وخلال المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية الثالثة [1] في تموز 1920، جادل لينين في أطروحاته حول المسألة القومية والاستعمارية، موضحا أن مستقبل العالم سيتحرر من خلال نضال الطبقة العاملة والقومية ضد الإمبريالية الاستعمارية، وعلى موسكو أن تقدم مساعدة نشطة للحركات الثورية في الدول التابعة والخاضعة للدول الاستعمارية(Boersner, 1957, 84).

ذهب المؤتمر الرابع للأممية الشيوعية في تشرين الثاني 1922 إلى أبعد من ذلك حين أعلن أن التحالفات الشيوعية الانتقالية كانت مقبولة في ظروف معينة لتشمل حتى الأرستقراطية الإقطاعية والحركة الإسلامية الشاملة. وفتح الباب بذلك للبحث عن أصدقاء جدد بين القبائل والدويلات في شبه الجزيرة العربية التي كانت قريبة نسبيا من الحدود السوفيتية، وثبت أن الجهود الأولى كانت واعدة إلى حد ما(Degras , 1956, 385).

**ثانيا: تطور السياسة السوفيتية تجاه الشرق والجزيرة العربية**

**أ – السياسة البراغماتية والمعاهدات الشرقية**

(1) هي استمراراً للأمميات الاولى التي اسسها كارل ماركس والثانية التي اسسها فريدريك انجلز ,أسسها فلاديمير لينين وليون تروتسكي عام 1919,لتنظيم الثورات عن طريق الاحزاب الشيوعية في كل دولة ,وبعثت الجماعات الشيوعية من مختلف الدول مندوبين عنها لحضور المؤتمرات التي عقدت في مدينة موسكو,تم انهاء الاممية الثالثة من قبل ستالين بعد المؤتمر الرابع عام 1923 لفقدان طابعه الثوري.(عطية الله، 1968، 1010)

نهجت موسكو سياسة جديدة سعت من خلالها إلى تأمين التعاون المؤقت بين البرجوازية القومية والشيوعيين الثوريين, لكنها سرعان ما ادركت أنه من الضروري معاملة كل دولة شرقية حسب وضعها وبشكل منفصل، مع مراعاة وضعها وظروفها الخاصة، ومن ثم فحص الوضع السائد في البلدان بشكل فردي. ونتيجة لذلك أبرمت معاهدات مع تركيا وبلاد فارس وأفغانستان في عام 1921(Baldry, 1984,54), غير أن هذا النهج في السياسة الخارجية تجاه بلدان الشرق أخذ بالتراجع، وأعلن القادة الجدد تخلي بلادهم عن أية مكاسب خارجية أو امتيازات , ويعود ذلك إلى انشغال القادة الجدد بالتركيز على دولتهم وتثبيت سلطتهم الجديدة والتوجه نحو بناء القوة السوفيتية وإعطاء الأولوية لتطوير الاقتصاد الوطني والاهتمام بالمؤسسة العسكرية، فضلا عن انشغالهم في الحرب الأهلية حيث لم تكن الدولة الجديدة قد أعادت توحيد جمهوريات القوقاز وشطر كبير من تركستان مع موسكو(جاسم، 1980، 15).

ومن الضروري استحضار السياق الداخلي للاتحاد السوفيتي ذاته لفهم حدود انخراطه في شبه الجزيرة العربية. فقد كانت السنوات الأولى للدولة السوفيتية مليئة بالتحديات الجسيمة، بدءا من الحرب الأهلية التي استمرت حتى عامي 1921–1922 وأسفرت عن دمار اقتصادي هائل، حيث انهار الروبل وتراجع إنتاج الصناعة الثقيلة إلى عشرين بالمئة فقط من مستويات عام 1913، فيما أدت المجاعة الناجمة عن الحرب والجفاف إلى وفاة ما بين ثلاثة وعشرة ملايين شخص, وفي ظل هذه الظروف، كانت الموارد المتاحة للسياسة الخارجية محدودة للغاية، مما انعكس على حجم الانخراط السوفيتي في مناطق بعيدة كشبه الجزيرة العربية , غير أن الدولة السوفيتية شرعت في الوقت ذاته في إعادة هيكلة اقتصادية وسياسية مكثفة، إذ سمحت الحكومة السوفيتية ببعض أشكال المشروعات الخاصة في إطار السياسة الاقتصادية الجديدة، واستبدلت بالمصادرة الإجبارية للغذاء ضريبة غذائية أكثر مرونة, كما اعتمدت خطة "غويلرو" للكهربة الشاملة التي مثلت نموذجا أوليا للخطط الخمسية اللاحقة. وقد انعكس هذا التحول الاقتصادي على السياسة الخارجية، إذ باتت التجارة أداة مهمة في العلاقات الدولية السوفيتية، بما في ذلك العلاقات مع شبه الجزيرة العربية, لكن ذلك لم يدم طويلا إذ سرعان ما وضعت روسيا نصب عينها توسع نطاق اتصالاتها الدولية في الشرق والانطلاق إلى العالم العربي، حيث كان تنامي

المشاعر القومية ينتشر بين شعوبها، عقب هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى (ناؤومكين، 1997، 62).

**ب . التوجه السوفيتي نحو منطقة الخليج والجزيرة العربية**

لم يغفل القادة الروس الجدد هذه المرة التطلع إلى منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية، وذلك كجزء من المجابهة مع بريطانيا التي كانوا يرون فيها عدوا أساسيا لنظامهم, وأخذوا يبحثون عن علاقات دبلوماسية وتحالفات مع القوى التي كانت واقعة تحت النفوذ البريطاني في المناطق الجنوبية الغربية لروسيا، بهدف تقديم الدعم لها، ومحاولة إبعادها عن دائرة النفوذ البريطاني، بغض النظر عن الطبيعة السياسية والاجتماعية للنظام الذي يحكم تلك البلدان(حسين، 2014، 162)، لإثبات وجوده أو رغبة في مضايقة النفوذ الغربي هناك، لا سيما النفوذ البريطاني, ولم يكن الاهتمام بهذا الجزء من الوطن العربي هدفا بحد ذاته، وإنما يدخل في إطار مواجهاته مع بريطانيا, واستنادا لتلك السياسة بدأ الاتحاد السوفيتي بالانفتاح نحو مملكة الحجاز على الرغم من علاقاتها الوثيقة مع البريطانيين (Baldry, 1984,54).

شكلت الحقبة الممتدة بين عامي 1918 و1928 مرحلة تأسيسية محورية في تاريخ العلاقات السوفيتية مع شبه الجزيرة العربية, ففي أعقاب ثورة أكتوبر 1917، سعى الاتحاد السوفيتي الناشئ، ضمن سياق دولي بالغ التعقيد عقب الحرب العالمية الأولى وانهيار الدولة العثمانية، إلى بناء منظومة علاقات جديدة مع الشرق, تبلور هذا التوجه في مسعى ثلاثي الأبعاد تمثل في مناهضة النفوذ والإمبريالية الأوروبية، ولا سيما البريطانية التي عملت على ترسيخ هيمنتها عبر نظام الانتداب، واستمالة الرأي العام الإسلامي، وفتح قنوات تجارية بديلة عن الشبكات التي تسيطر عليها القوى الغربية(Kreutz ,2004 , 4-5)

انخرط السوفييت في نشاط دبلوماسي وتجاري ملموس، وإن بقي محدودا، بهدف تحقيق تلك الأهداف في بيئة المنطقة المضطربة, وتمحور هذا النشاط حول محاور رئيسة عدة تضمنت إرسال البعثات القنصلية، وأبرزها بعثة كريم حكيموف [2]، والإقدام على الاعتراف الدبلوماسي

(2) عبد الكريم عبد الرؤوف حكيموف: ولد سنة 1892 في بلدة آوفا في بشكيريا الروسية من مسلم النشار, أنضم إلى أعمال الدولة السوفيتية وخاصة في المجالات الدبلوماسية اليمنية, اعتقلته السلطات السوفيتية عام 1937, وأعدم ضمن مجموعة من الشخصيات السياسية والعسكرية والإدارية في حملة التطهير التي قادها ستالين. (

المبكر بحكم عبد العزيز آل سعود في عام 1926 (Leatherdale , 1983, 62)، وإقامة اتصالات تجارية أولية كما حدث مع وصول سفينة سوفيتية إلى ميناء الحديدة اليمني في عام 1928 (مجموعة من المؤلفين السوفييت، 1990، 40.). فضلا عن ذلك، سعت الدبلوماسية السوفيتية إلى إقامة روابط تجريبية مع الشبكات المناهضة للاستعمار. ومع ذلك، ظلت هذه الجهود مقيدة بشدة بسبب المعارضة البريطانية الفاعلة في المنطقة، والشح النسبي في الموارد السوفيتية التي كانت منصبة على إعادة البناء الداخلي في تلك المرحلة التأسيسية (Baldry, 1984,68-74).

**ج – الأهداف الاستراتيجية السوفيتية في الجزيرة العربية**

تعاملت القيادة السوفيتية مع الأراضي العربية في حقبة ما بعد الدولة العثمانية كأهداف استراتيجية للدبلوماسية التي دمجت بين الخطاب المناهض للإمبريالية، والانفتاح على المسلمين، والفرص التجارية، رابطة بذلك الانخراط الإقليمي بأهداف ثورية وجيوسياسية أوسع, وقد صاغت المذكرات والمناقشات المتعلقة بالسياسات بوضوح رؤية تعد الحجاز والأراضي العربية المجاورة مناطق معرضة للإمبريالية الأوروبية، وساحات هامة للنفوذ السوفيتي وللتفاعل مع الشعوب الإسلامية في الخارج(Baldry, 1984, 68-74)

دافع الدبلوماسي السوفيتي ليف كاراخان عن ضرورة استئناف الاتصال بالحجاز وإحياء أشكال من الانفتاح التي تعود إلى العهد القيصري، ولا سيما ما يتصل بالحج، باعتباره أداة لتعزيز المصالح السوفيتية في أوساط المسلمين ومواجهة النفوذ الأوروبي في المنطقة, إذ سعت موسكو إلى تسهيل أداء مسلمي الاتحاد السوفيتي لفريضة الحج، في محاولة لإظهار التزامها باحترام الحرية الدينية، وفي الوقت ذاته استخدام هؤلاء الحجاج جسراً للتواصل مع المسلمين في شتى أنحاء العالم، ونقل صورة إيجابية عن أوضاع المسلمين في ظل الحكم السوفيتي(.Naumkin, 2018, 705-720). علاوة على ذلك، سعى السوفييت إلى فتح قنوات تجارية واستغلال صفتهم كقوة غير استعمارية لكسب النفوذ في المناطق التي كانت تهيمن عليها بريطانيا، معتبرين التجارة والدبلوماسية أداتين متكاملتين.78-77 ,1984, Baldry) . استندت

السماري، 2000، 155.)

المقاربة السوفيتية إلى تصور مفاده أن الأراضي العربية تشكل نقاط ضعف في البنية الإمبريالية الأوروبية، ومن ثم فإنها ذات أهمية بالغة للمشروع الاشتراكي العالمي الذي تبلور بعد عام 1917(.Naumkin,2018 , 706-707).

**د – البدايات الأولى للانفتاح على مملكة الحجاز**

تعود البدايات الأولى للانفتاح السوفيتي على مملكة الحجاز إلى مؤتمر لوزان[3] الذي عقد في المدة من كانون الأول 1922 إلى كانون الثاني 1923، عندما حضر أول وزير خارجية سوفيتي وهو جورجي تشيشيرينGeorgy Chicherin ( وشغل منصب مفوض الشعب للشؤون الخارجية لروسيا)، جلسات المؤتمر, وتم أول اتصال رسمي عربي مع الدولة الاشتراكية الأولى، عندما تداول ممثل الحجاز مع تشيشيرين إمكانية إقامة علاقات دبلوماسية بين الجانبين(احمد، 1978، 236), وطرح ممثل الحجاز ناجي الأصيل بالنيابة عن ملك الحجاز الشريف حسين بن علي، قضية إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين, وفي أيلول من عام 1923 كتب تشيشيرين كتابا إلى ستالين أمين اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي يخبره بطلب ملك الحجاز إقامة علاقات معهم، وكان المكتب السياسي قد اتخذ قرارا سابقا في ضرورة إقامة علاقات مع الحجاز من أجل أن يكون هناك ممثلية قرب مكة التي تعد مركز التجمع الفكري للعالم الإسلامي (ناؤومكين، 1997، 62–63). ويعود هذا القرار إلى تقدير المسؤولين السوفيت لأهمية العامل الديني في إقامة علاقات مع ملك الحجاز، لا سيما قربها من مكة، ويتضح ذلك من خلال تقرير لوزير الخارجية السوفيتي تشيشيرين ذكر فيه أنه "يعتقد فعلا بأن من المهم للغاية أن يكون لديهم قنصل في جدة، فجدة قريبة من مكة، وسيكون قنصلهم في جدة وسط العالم الإسلامي، وهكذا ستجري أمام سمع وبصر قنصلهم حركات سياسية كثيرة جدا في أوساط المسلمين" (الحثلان، 2012، 92).

(3)اتفاقية وقعت في لوزان بسويسرا بين كل من تركيا وبريطانيا وفرنسا، وتألفت من 143 مادة أعادت تنظيم العلاقات بين هذه الدول في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى , اذ دعت كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا إلى عقد مؤتمر لوزان في تشرين الثاني 1922 لتسوية النزاع التركي - اليوناني وتعديل معاهدة سيفر، غير أن العرب استُبعدوا من المشاركة المباشرة، واقتصر الأمر على حضور مملكة الحجاز والعراق بصفة مراقب. وخلال انعقاد المؤتمر، أقرّ مجلس الأمة الكبير الفصل بين الخلافة والسلطنة، منهيًا حكم إسطنبول. وقد مرّ المؤتمر بمرحلتين: الأولى بين عامَي 1922 و1923، وقد فشلت بسبب الخلافات المرتبطة بالامتيازات ومشكلة الموصل، والثانية بين نيسان وتموز 1923، وقد انتهت بتوقيع معاهدة لوزان التي رسمت حدود تركيا الحديثة، وأقرّت بتبادل السكان مع اليونان، وكرّست سيادة الجمهورية الوليدة. للمزيد ينظر (مجموعة مؤلفين, , 2025).

وكان هدف الوزير الروسي تشيشيرين من وجود قنصل روسي في جدة والتي تقع في قلب العالم الإسلامي، وقبلة الحجاج هو ليتّمكن القنصل من متابعة معظم الحركات الإسلامية التي تكون بعيدة عن أنظار السوفيت(كوزمين، 2012، 202).

يبدو أن الشريف حسين بن علي ان مطالبه بإقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي جاءت كرد فعل على تصرفات البريطانيين، وخذلانهم له، بعد أن وعدوه في مساعدته في إقامة دولة كبيرة وموحدة تشمل العراق والشام والحجاز بعد التخلص من الدولة العثمانية.

تابع الموضوع فيما بعد ممثلا البلدين واستمرت المباحثات حول إقامة علاقات مدة إلى أن تم الاتفاق في نيسان 1924 على إقامة التمثيل الدبلوماسي بينهما, ويعود طول مدة المباحثات لعدم وجود اتصالات مباشرة ومنتظمة؛ بسبب علاقة الشريف حسين وقتها مع البريطانيين، وعدم رغبة الاتحاد السوفيتي بإثارة تركيا لارتباطه بمعاهدة معها والتي تعد العدو اللدود للشريف حسين(كوزمين، 2012، 202).

وعلى صعيد الاعتراف الدولي، حقق الاتحاد السوفيتي تقدما ملموسا في منتصف العشرينيات، إذ اعترفت به المملكة المتحدة في شباط 1924، وأقر الدستور السوفيتي في العام ذاته. وقد أتاح هذا الاعتراف الدولي للاتحاد السوفيتي مساحة أوسع للعمل الدبلوماسي في مختلف أنحاء العالم، بما في ذلك شبه الجزيرة العربية، وإن ظلت العلاقات مع بريطانيا، القوة المهيمنة في المنطقة، محفوفة بالتوترات والمنافسة(Wilson, 1943, 100) .

**هـ – الدعم السوفيتي للشريف حسين ومسألة الخلافة**

ألغى نظام مصطفى كمال (أتاتورك) الخلافة العثمانية في إسطنبول في الثالث من آذار 1924، فبادر شريف مكة وملك الحجاز حسين الهاشمي إلى إعلان نفسه خليفة وزعيما للعالم الإسلامي، ومع ذلك قدم الاتحاد السوفيتي دعمه له في الوقت الذي كان يساند فيه النظام الكمالي(Salibi, 1993, 89) ، ولم تتردد موسكو من الاستفادة من التوتر اللاحق بين لندن والشريف حسين(Andre, 2004, 5) , وبالغ السوفيت في ذلك الوقت في دور الحجاز على افتراض أنه كان له تأثير قوي على الدول الإسلامية الأخرى بسبب وصايته على الأماكن المقدسة الإسلامية، أو اعتقد السوفيت أن العلاقات مع الشريف حسين ستخفف من موقف

المسلمين السوفييت تجاه النظام السوفيتي وتسهم في توطيد العلاقات السوفيتية مع الدول الإسلامية .(Yodfat, 1983, 1).

بذلك بدأت العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين، وتم الاتفاق على أن يكون للاتحاد السوفيتي قنصلية عامة في الحجاز شأنه شأن الدول كافة، أما الحجاز فسيكون لها مندوب مفوض في موسكو, وكان كريم حكيموف، وهو مسلم تتري من أوفا، أول ممثل وقنصل عام سوفيتي في الحجاز، اذ قدم أوراق اعتماده إلى الشريف حسين بجدة في التاسع من آب 1924 بصفته "الوكيل والقنصل العام للاتحاد السوفيتي لدى جلالة الملك الهاشمي ملك الجزيرة العربية"، ووصل لطف الله ممثل الحجاز إلى موسكو في بداية تشرين الأول من السنة نفسها(أحمد، 1978، 237). بهذا أصبح للاتحاد السوفيتي أول ممثلية رسمية في البلدان العربية ,Baldry). 1984,58)

**و . التحول في السياسة السوفيتية نحو ابن سعود**

تعرضت العلاقات الجديدة الى تحدي كبير، بعد أن ثبت أن فشلت محاولة الشريف حسين في الحصول على الخلافة فشلا ذريعا، فضلا عن أن حكم عائلته في الحجاز بدأ ينهار تحت ضربات عدوه القديم عبد العزيز آل سعود(Andre, 2004, 5)، الذي واصل الزحف نحو الحجاز بهدف توحيد الجزء الأكبر من الجزيرة العربية تحت سلطته(كوزمين، 2012، 204).

على أثر ذلك بعث جورجي تشيشيرون وزير الخارجية السوفيتي رسالة إلى حكيموف في الرابع عشر من تشرين الثاني 1924 يكلفه فيها بالمهمة الآتية، وهي الحفاظ على علاقة الصداقة مع الحجاز، وعدم تفويت أية فرصة للاتصال بابن سعود القوة الجديدة الصاعدة في الجزيرة العربية (السماري، 2000، 155–156).

بعد الحصار الذي ضربه ابن سعود على مدينة جدة والذي استمر لمدة عام تقريبا، اضطرت العائلة الهاشمية للتخلي عن حكمها في البلاد، وأرسل تشيشيرون تعليمات إلى حكيموف طلب منه البقاء في جدة وإقامة علاقات ودية مع ابن سعود (ناؤوميكن، 1997، 72–74).

تجدر الإشارة إلى أن الاتحاد السوفيتي كان قد أصدر في تشرين الأول 1924، قبل سقوط حكم الشريف حسين، تصريحا دبلوماسيا كشف عن خيبة أمل موسكو من التطورات في الحجاز.

جاء في التصريح أن "إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتي والحجاز، التي تلعب دورا مهما في حركة إنشاء دولة عربية كبرى موحدة، حدثت قبل الضربة التي وجهت لتلك الحركة مباشرة، والتي نفذها هجوم قبائل الوهابيين البدائية على الحجاز بقيادة ذلك المعارض للعروبة، ابن سعود"( Extract from Chicherin's Report to the Central Executive Committee on Foreign Relations,1951,468).

تعاملت موسكو مع التطورات بطريقة حذرة وبراغماتية للغاية, وبدأت الصحافة السوفيتية في الكتابة عن "برنامج سياسي–اجتماعي مثير للاهتمام بشكل استثنائي, وعندما فاز عبد العزيز آل سعود بتاج الحجاز في شباط 1926، كان الاتحاد السوفيتي أول دولة اعترفت به في السادس عشر من شباط 1926, وجاء في المذكرة الرسمية من الحكومة السوفيتية لابن سعود: "استنادا إلى مبدأ حق الشعوب في تقرير المصير واحتراما لإرادة الشعب الحجازي كما تم التعبير عنها في اختيارك ملكا لهم، تعترف حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية بك ملكا على الحجاز وسلطانا على نجد وتوابعها, على هذا الأساس، تعتبر الحكومة السوفيتية أنها في علاقات دبلوماسية طبيعية مع حكومة جلالتكم"(Vassiliev, 1998 ).

ولم يقتصر الدعم السوفيتي على الاعتراف الدبلوماسي الرسمي، بل امتد ليشمل أدوات متنوعة من القوة الناعمة، ففي عام 1926، شاركت وفود إسلامية سوفيتية في مؤتمر مكة الذي عقد لبحث مستقبل الحرمين الشريفين في ظل الحكم السعودي الجديد، حيث أعلنت هذه الوفود تأييدها للسيادة السعودية على الأماكن المقدسة، في رسالة واضحة هدفت إلى تقديم الاتحاد السوفيتي بوصفه قوة تحترم استقلال الشعوب الإسلامية وحقها في تقرير مصيرها، وذلك في مقابل الصورة السلبية للقوى الاستعمارية الغربية(Foley 2013,48-49.).

وفي معرض رده على مذكرة الاعتراف سلم الملك عبد العزيز آل سعود القنصل السوفيتي في التاسع عشر من شباط 1926 مذكرة ذكر فيها استعداد المملكة التام لإقامة علاقات مع حكومة الاتحاد السوفيتي، على أن تكون العلاقات قائمة على احترام استقلال البلدين(الرشيد، 2007، 77).

اعتقد السوفييت أن ابن سعود كان قادراً على إنشاء اتحاد مستقل للإمارات العربية، ومن ثم إضعاف الهيمنة الغربية على حدودهم الشرقية, مع وضع أهداف مماثلة في الاعتبار حرصت

القيادة السوفيتية على استقطاب الدول الفتية في الجزيرة العربية، والتي نظرت إليها في إطار حركات التحرر المناهضة للاستعمار الغربي للمنطقة القريبة من الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي(الحثلان، 2012، 91).

بذلك يكون الاتحاد السوفيتي أول دولة اعترفت بابن سعود ملكا على الحجاز، وربما يكون اعترافها نابعا من اعتقادها بقوة ابن سعود وإمكانية التعويل عليه في الحصول على موقع نفوذ في شبه الجزيرة العربية، لا سيما بعد أن لمست ضعف الشريف حسين وفشله في عدم قدرته على توحيد البلاد العربية، فضلا عن أنها أرادت قطع الطريق أمام بريطانيا في كسب ود ابن سعود والتأثير عليه.

من جانبه لعب الملك عبد العزيز بمهارة على الورقة الروسية ضد شركات النفط الأنجلو–أمريكية، وأراد من خلال فتح أسواق بلاده أمام السلع السوفيتية أن يظهر أن هناك بديلا لضغوطها, وللسبب نفسه، أرسل الملك في المدة بين أيار وحزيران 1932 ابنه فيصل بن عبد العزيز في زيارة رسمية إلى موسكو, ويمكن عّد هذه الزيارة قمة التطور في تاريخ العلاقات السوفيتية–العربية قبل الحرب العالمية الثانية وإنجازا ظاهرا للدبلوماسية السوفيتية, في الوقت نفسه، ساعدت زيارة ابن سعود على تحقيق بعض التنازلات من بريطانيا, ومع ذلك لم تكن سياسة الملك عبد العزيز تجاه موسكو مستوحاة من اعتبارات براغماتية بحتة فحسب, بل قدر الملك كثيرا إطلاق البلاشفة للمعاهدات السرية بين روسيا القيصرية وفرنسا وبريطانيا بشأن مستقبل الشرق الأوسط، ولا سيما اتفاقية سايكس–بيكو الشهيرة حول تقسيم مناطق النفوذ هناك (Kosach, 2003, 29-30.). وكان أيضا على اتصال وثيق بالممثل السوفيتي في جدة كريم حكيموف، الذي كان يحظى باحترامه وكان له تأثير على قراراته(Yakovlev, 2003, 25) .

**ثالثا: العلاقات السوفيتية مع اليمن والتوسع في شبه الجزيرة العربية**

تعد المملكة المتوكلية اليمنية الدولة العربية الثانية بعد مملكة الحجاز التي أقامت علاقات مع الاتحاد السوفيتي، إذ بادرت موسكو إلى الاعتراف بها وتقديم المساعدات عقب توقيع معاهدة الصداقة والتجارة بين الطرفين في الأول من تشرين الأول 1928، وهي المعاهدة التي شكلت نقطة تحول في العلاقات السوفيتية–العربية، وأتاحت للاتحاد السوفيتي إنشاء بعثة تجارية دائمة

في اليمن. وقد وصفت هذه الاتفاقية بأنها "أول معاهدة متساوية أبرمتها حكومة عربية مع دولة عظمى"(Stupak, 1969, 6).

عمليا، أظهر السوفييت نشاطا ونجاحا أكبر في اليمن مقارنة بالحجاز؛ فبحلول عام 1930 كانوا يزودون البلاد، بأسعار منخفضة، بنحو 50٪ من الكيروسين، و60٪ من الصابون، و35٪ من السكر، و80٪ من واردات الأخشاب(Stupak, 1969, 6). علاوة على ذلك، عمل ألاطباء السوفييت في البلاد، وكانت هناك بعض المحاولات التجريبية لتطوير العلاقات الثقافية، ناهيك على وصف الصحافة السوفيتية، الإمام المحافظ للغاية في اليمن بأنه زعيم شعبي يتحدى الإمبريالية الغربية(Joffe, 1965, 62).

وإلى جانب الأدوات الدبلوماسية والتجارية، لجأ السوفييت إلى البعثات الطبية كوسيلة للتغلغل في بلاطات الحكام العرب وكسب ثقتهم, فقد أرسل أطباء سوفييت إلى الحجاز واليمن في أواخر العشرينيات، حيث عملوا كوسطاء موثوقين في البلاطات الملكية، جامعين بين تقديم المساعدات الإنسانية والخدمات الصحية من جهة، والعمل على تعزيز النفوذ الجيوسياسي السوفيتي من جهة أخرى، في منافسة مباشرة مع الأطباء الغربيين الذين كانوا يسعون إلى تحقيق الأهداف ذاتها لصالح دولهم. وقد أتاح هذا الحضور الطبي للسوفييت فرصة بناء علاقات شخصية مع أصحاب القرار، والاطلاع على تفاصيل الحياة في البلاطات الملكية، ونقل صورة إيجابية عن الاتحاد السوفيتي بوصفه قوة حديثة ومتقدمة علميا وتقنيا(Joffe, 1965, 62).

**أ . البعثات الدبلوماسية السوفيتية ودورها في الجزيرة العربية**

اعتمد الوجود السوفيتي خلال المدة الممتدة من 1918 إلى 1928 على عدد محدود من الوكلاء القنصليين والدبلوماسيين الذين تولوا مهام رصد الأوضاع، ومحاولات الوساطة، والسعي وراء الفرص التجارية. وكان هؤلاء المبعوثون ركيزة أساسية لسياسة موسكو المبكرة في الجزيرة العربية، حيث يظهر استعراض الشخصيات الرئيسية والبعثات الموثقة تركيزا على التقارير الميدانية، ومحاولات التقارب، وتجربة الاعتراف الثنائي(Kreutz ,2004 , 4-7).

شغل كريم حكيموف منصب أول قنصل عام سوفيتي في الحجاز بمدينة جدة، وقاد مبادرة لإحلال السلام في منتصف العشرينيات بين الشريف حسين وابن سعود، كما عمل على جمع

المعلومات الاستخبارية وتقييم حظوظ ابن سعود، مما أثر بشكل ملحوظ في صياغة سياسة موسكو (Baldry, 1984,59). وإلى جانبه، عمل نذير تيوراكولوف على المسار السعودي وساهم في الجهود الرامية إلى إضفاء الطابع الرسمي على الاتصالات الثنائية خلال أواخر العشرينيات (Naumkin 2023, 165). أما ليف كاراخان فقد اقترح الانفتاح على الحجاز في مذكرات موجهة للقيادة السوفيتية، عادّاً أن الارتباط بمكة وموسم الحج يمثل أولوية استراتيجية في السياسة الخارجية السوفيتية تجاه العالم الإسلامي (Naumkin 2023, 710-712).

وفرت البعثة السوفيتية في جدة تقارير ساهمت في تشكيل قرار موسكو بالاعتراف بكيان ابن سعود السياسي الصاعد، وهو الاعتراف الذي تم في مطلع عام 1926 .(Baldry, 1984,60) . وتعد هذه المحطات الدبلوماسية البارزة شاهدا على الجهد السوفيتي المبكر لبناء علاقات مع القوى الناشئة في المنطقة.

**ب . العلاقات السوفيتية مع دول شبه الجزيرة العربية**

تباين انخراط الاتحاد السوفيتي مع كل من الحجاز، ونجد التي يحكمها ابن سعود، واليمن، وموانئ الخليج، حيث جمعت هذه العلاقات بين الوجود القنصلي، والاعتراف السياسي، ومبادرات تجارية محدودة، وبدرجات متفاوتة من النجاح. يلخص الجدول أدناه التحركات السوفيتية، والتواريخ والشخصيات الرئيسية، والنتائج المباشرة لكل كيان سياسي:

| الكيان | التحركات والاتصالات السوفيتية | تواريخ وشخصيات رئيسية | النتيجة |
|---|---|---|---|
| **الحجاز (الكيان الشريفي)** | تأسيس قنصلية في جدة؛ جهود حكيموف في الوساطة وإعداد التقارير. | نشاط حكيموف في منتصف العشرينيات؛ سقوط جدة مطلع 1925؛ دعوة كاراخان | رصدت البعثة السوفيتية انهيار الحكم الشريفي وحاولت القيام بجهود وساطة (Naumkin 2023, 710-716) |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | للتواصل مع مكة. | |
| **نجد / ابن سعود (الدولة السعودية المستقبلية)** | اتصالات مباشرة عبر القنصل السوفيتي، تقييم حظوظ ابن سعود، والاعتراف المبكر بالكيان الجديد. | اتصالات منتصف العشرينيات؛ اعتراف سوفيتي في شباط 1926. | أصبح الاتحاد السوفيتي أول دولة تعترف بنظام ابن سعود، مما سهل مبادرات دبلوماسية وتجارية لاحقة (Baldry, 1984,60) |
| **اليمن (اليمن المتوكلي)** | زيارات تجارية من قبل سفن الشحن السوفيتية للموانئ اليمنية؛ اهتمام دبلوماسي ضمن المخططات الإقليمية. | زيارة سفينة تجارية سوفيتية للحديدة في ايار 1928. | تأسيس انخراط تجاري محدود عبر مسارات الخليج واليمن، لكن دون إبرام معاهدات واسعة النطاق في هذه المدة (Baldry, 1984,65-69) |
| **أقاليم الخليج (الموانئ والمشيخات)** | تواصل تجاري وإعلامي يهدف إلى فتح الأسواق ومواجهة النفوذ البريطاني. | مبادرات تجارية ودبلوماسية استكشافية في أواخر العشرينيات. | روابط تجارية متواضعة واتصالات متقطعة؛ حيث قيدت الهيمنة البريطانية الواسعة في المنطقة التغلغل السوفيتي |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | | | (Baldry, 1984,68-74) |

تستند جميع بيانات الجدول إلى تقارير قنصلية معاصرة ومصادر أرشيفية توضح انخراطا سوفيتيا مركزا ولكنه محدود الموارد في كل كيان.

**ج – التجارة والدعم السياسي السوفيتي في شبه الجزيرة العربية**

جمع النشاط الاقتصادي والاتصالات السياسية السوفيتية في المدة الممتدة من 1918 إلى 1928 بين بعثات تجارية متواضعة وانخراط سياسي انتقائي، إلا أن الأهداف التجارية الطموحة اصطدمت بعقبات لوجستية ودبلوماسية عديدة. حاول السوفييت طرح بضائعهم في الأسواق العربية وسعوا لبناء علاقات مع النخب الحاكمة، بينما تراوحت الاتصالات السياسية بين التواصل الإعلامي والدعم المبدئي لجهات ينظر إليها على أنها مناهضة للإمبريالية, اذ رست سفينة تجارية سوفيتية في ميناء الحديدة اليمني في ايار 1928 محملة ببضائع سوفيتية، مما جسد تواصلا تجاريا ملموسا في الفضاء الاقتصادي للبحر الأحمر والخليج (مجموعة من المؤلفين السوفييت، 1990، 40.)

غير أن هذه المحاولات التجارية لم تكلل بالنجاح المنشود، إذ تعثرت الجهود الرامية إلى تحويل المكاسب الدبلوماسية المبكرة إلى اتفاقيات تجارية رسمية الا بحلول عام 1928، مما أضعف زخم المبادرة الدبلوماسية السوفيتية في الجزيرة العربية (Naumkin, 2018, 167.).

على الصعيد السياسي، عمل المبعوثون السوفييت على تنمية العلاقات مع الحكام الصاعدين، ولا سيما ابن سعود، وتقييم موازين القوى المحلية، وساعدت اتصالات وتقارير حكيموف في صياغة قرار موسكو بالاعتراف بابن سعود وتبني انخراط براغماتي بدلا من المواجهة الأيديولوجية (Baldry, 1984,58-60).

مع ذلك، لا تتوافر في المراجع المعتمدة أدلة موثقة على تقديم دعم مادي أو عسكري سوفيتي واسع النطاق للقوات القبلية العربية خلال المدة من 1918 إلى 1928 وان المزاعم بوجود

مساعدات سرية كبيرة تبقى غير مدعومة في السجلات المتاحة، وبالتالي لا توجد أدلة كافية لإثبات مثل هذا الدعم.

**د – تأثير الكومنترن (Comintern): التحديات والإرث**

أطرت المؤسسات الأممية الشيوعية (Comintern) والأيديولوجيا الثورية التحرك السوفيتي، لكن التأثير العملياتي كان مقيدا بالبيئة الإقليمية، والمعارضة البريطانية، والقيود المؤسسية, وساعد الكومنترن والخطاب الثوري السوفيتي في تبرير التواصل، إلا أن العمل التطبيقي اعتمد في جوهره على الدبلوماسية التقليدية والتجارة. وربطت الاستراتيجية السوفيتية بين استمالة المشاعر المناهضة للإمبريالية والجماهير المسلمة وبين المشروع الثوري العالمي، حيث صيغت المقترحات الدبلوماسية صراحة لخدمة الأهداف القومية والمناهضة للاستعمار بدلا من الاقتصار على التصدير التنظيمي الحزبي البحت(Becker, 1970, 3 ). كما تظهر الأبحاث الحديثة كيف أن هذه التجارب المبكرة في العشرينيات أسست لنمط سوفيتي مستمر في استخدام ما يمكن تسميته بـ "الشرق الداخلي"، أي جمهوريات آسيا الوسطى ذات الغالبية المسلمة، جسرا للتواصل مع "الشرق الخارجي" بما فيه العالم العربي, وقد وفر هذا النهج للسوفييت أطر دبلوماسية وثقافية ذات خلفية إسلامية، مثل كريم حكيموف نفسه، قادرة على التواصل مع المجتمعات المسلمة بفعالية أكبر(Kreutz ,2004 , 2-6).

وواجه المبعوثون السوفييت تحديات لوجستية جمة، إذ عملوا في ظروف محلية قاسية، وبموارد محدودة في ظل منافسة بريطانية نشطة هدفت لمنع أي مكاسب سوفيتية, وأعاقت التقديرات الخاطئة والخلافات بين المؤسسات في موسكو تنفيذ سياسة متسقة (Naumkin, 2018, 163- 176.) .

أسهم الاعتراف السوفيتي المبكر بابن سعود والحضور القنصلي في جدة في إرساء موطئ قدم دبلوماسي، وترك انطباعا عن انخراط سوفيتي غير استعماري، وإن كان هذا الزخم قد تراجع لاحقا بفعل فشل المفاوضات التجارية وتصاعد التنافس الأنجلو–سوفيتي(Baldry, 1984,59-63).

يرى عدد من الباحثين أن الإخفاق في ترسيخ هذه العلاقات خلال عشرينيات القرن العشرين حد من النفوذ السوفيتي في العالم العربي، وقيد الروابط بين مسلمي الاتحاد السوفيتي والمؤسسات الدينية والسياسية في شبه الجزيرة العربية، ما خلف إرثا من الفرص الضائعة انعكس على العلاقات السوفيتية–العربية اللاحقة(Foley 2013,46.) . مع ذلك، ترك الانخراط المبكر بصمات دبلوماسية وسياسية دائمة في الذاكرة التاريخية للعلاقات بين الطرفين.

**الخاتمة**

يمكن القول بأن العقد الأول الذي أعقب الثورة البلشفية شكل مرحلة تأسيسية محورية في تاريخ العلاقات السوفيتية مع شبه الجزيرة العربية، تميزت بمحاولات حثيثة لبناء منظومة علاقات جديدة مع الشرق العربي ضمن سياق دولي بالغ التعقيد, فقد سعى الاتحاد السوفيتي الناشئ إلى توظيف الخطاب المناهض للإمبريالية واستمالة المشاعر الإسلامية وفتح القنوات التجارية كأدوات لتحقيق أهدافه الاستراتيجية المتمثلة في مواجهة النفوذ البريطاني وكسب موطئ قدم في منطقة ذات أهمية جيوسياسية بالغة.

تجلى هذا التوجه في سلسلة من المبادرات الدبلوماسية والتجارية التي تفاوتت نتائجها بين النجاح والإخفاق. فقد نجح السوفييت في إقامة أول تمثيل دبلوماسي لهم في البلدان العربية من خلال القنصلية العامة في جدة، كما حققوا إنجازا دبلوماسيا لافتا بكونهم أول دولة اعترفت بعبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز في عام 1926, وامتد نشاطهم ليشمل اليمن حيث وقعوا معاهدة الصداقة والتجارة في عام 1928 وأسسوا حضورا تجاريا ملموسا هناك, غير أن هذه الإنجازات ظلت محدودة الأثر بفعل عوامل عدة، أبرزها المعارضة البريطانية الفاعلة التي سعت لإحباط أي تغلغل سوفيتي في مناطق نفوذها، والشح النسبي في الموارد السوفيتية التي كانت موجهه بالدرجة الأولى نحو إعادة البناء الداخلي، فضلا عن التقديرات الخاطئة والتذبذب في السياسات.

كشفت الدراسة عن البراغماتية اللافتة التي أبدتها القيادة السوفيتية في تعاملها مع الواقع الميداني، حيث أظهرت مرونة في التحول من دعم الشريف حسين إلى الاعتراف بعبد العزيز آل سعود عندما تبدلت موازين القوى، متجاوزة بذلك الاعتبارات الأيديولوجية الصرفة لصالح

الحسابات الاستراتيجية. كما أبانت الدراسة عن الفجوة بين الطموحات النظرية والإمكانات الفعلية، إذ ظلت الأهداف التجارية الطموحة مقيدة بالعقبات اللوجستية والدبلوماسية، ولم تتحول المكاسب السياسية المبكرة إلى نفوذ اقتصادي راسخ.

في الختام، تظهر الدراسة أن هذه المرحلة التأسيسية أرست بصمات دبلوماسية وسياسية دائمة في الذاكرة التاريخية للعلاقات السوفيتية العربية، وإن كانت قد خلفت في الوقت ذاته إرثا من الفرص الضائعة انعكس على مسار هذه العلاقات في العقود اللاحقة, فقد أسهم الإخفاق في ترسيخ الروابط المبكرة في الحد من النفوذ السوفيتي في العالم العربي، وقيد الصلات بين مسلمي الاتحاد السوفيتي والمؤسسات الدينية والسياسية في شبه الجزيرة العربية. ومع ذلك، فإن الدروس المستخلصة من هذه التجربة المبكرة ظلت حاضرة في صياغة السياسة السوفيتية تجاه المنطقة في مراحلها المتأخرة، مما يجعل دراسة هذه الحقبة ضرورة لفهم السياق التاريخي الأوسع للعلاقات بين القوى العظمى والعالم العربي.

**المراجع العربية**

1. أحمد، كمال مظهر .(1978) .أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط .بغداد: دار الحرية للطباعة.
2. الأسدي، لؤي عباس غالب .(2013) .السياسة الخارجية تجاه متغيرات المنطقة العربية (أحداث 2011–2013م أنموذجًا) .صنعاء: المعهد الدبلوماسي.
3. جاسم، عبد المناف شكر .(1980) .العلاقات العراقية السوفيتية 1944–8 شباط 1963. بغداد: مطبعة الحكم المحلي.
4. الحثلان، صالح بن محمد. (2012). العلاقات السعودية الروسية (علاقات نوعية بدلًا من شراكة استراتيجية) .المجلة العربية للعلوم السياسية، 34، 92.
5. الدوسري، نادية وليد. (2004). محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1880–1907م .مجلة الدارة، 29.(1)
6. الرشيد، بدر بن سلطان. (2007). العلاقات السعودية الروسية .مجلة الدبلوماسي، 37، 77.
7. السماري، فهد عبد الله. (2000). مهمة كريم حكيموف لمقابلة الملك عبد العزيز أثناء حصار جدة 1925 .مجلة الدارة، 26(3)، 155.
8. السميا، رنا عادل .(2015) .العلاقات السورية السوفيتية (السياسية والاقتصادية والثقافية) 1946–1965 (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.
9. الصحاوي، عبد الحكيم .(2015) .دراسات في العلاقات الدولية الآسيوية المعاصرة .الدار الثقافية للنشر.
10. الطالب، مظفر نذير .(1985) .السياسة الخارجية السوفيتية في الوطن العربي (1953–1967)(رسالة ماجستير غير منشورة). كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد.
11. العبادي، عوض (مراجع). (2004). مراجعة كتاب: محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي 1880–1907م .مجلة الدارة، 29(1)، 985.987–
12. عطية الله، أحمد .(1968) .القاموس السياسي (الطبعة الثالثة). القاهرة: دار النهضة العربية.
13. مجموعة من المؤلفين السوفييت .(1990) .تاريخ اليمن المعاصر 1917–1982 (ترجمة محمد علي البحر). القاهرة: مكتبة مدبولي.

14. مجموعـة مـؤلفين, لـوزان 1923السـياقات والتداعيات , المركـز العربـي للأبحـاث ودراسة السياسات ,الدوحة, 2025.

15. منصـور، ممـدوح محمـود. (د.ت) .الصـراع الأمريكـي السـوفيتي فـي الشـرق الأوسط .القاهرة: مكتبة مدبولي.

**المراجع الأجنبية**

1. Baldry, John. (1984). Soviet relations with Saudi Arabia and the Yemen 1917–1938. *Middle Eastern Studies*, 20(1).
2. Becker, Abraham Samuel, & Horelick, Arnold Lawrence. (1970). *Soviet Middle East policy: Origins and prospects*. Rand Corporation.
3. Bocharov, A. (1999). Schitaem eti vody dostiynymi plavanju vsech natsii: pervye poseshhenija Rossyskimi Korabliami Persidskogo Zaliva. *Morskoj Sbornik*, II, 71–77.
4. Boersner, Demetrio. (1957). *The Bolsheviks and the national and colonial question, 1917–1928*. Geneva: Librairie E. Droz.
5. Degras, Jane. (1951). *Soviet documents on foreign policy* (Vol. 1). New York: Oxford University Press.
6. Degras, Jane. (1956). *The Communist International 1919–1943 documents* (Vol. 1). London: Oxford University Press.
7. Extract from Chicherin's Report to the Central Executive Committee on Foreign Relations (October 18, 1924), in Degras (Jane), Soviet Documents on Foreign Policy, vol. I, Oxford University Press, New York, 1951, p. 468.
8. Foley, Sean. (2013). Saudi Arabia, the Soviet Union, and modern Islam. *ICR Journal*, 4(1).
9. Joffe, A. (1965). Nachalnyi etap vzaimootnoshenij Sovetskogo Sojuza s Arabskimi i Afrikanskimi stranami (1923–1932 gg). *Narody Azii i Afriki*, 6.
10. Kosach, Grigory G., & Melkumian, E. S. (2003). *Vneshnjaja politika Saudovskoj Arabii*. Moscow: The Institute of Israeli and Middle Eastern Studies.
11. Kreutz, Andrej. (2004). Russia and the Arabian Peninsula. *Journal of Military and Strategic Studies*, 7(2).
12. Leatherdale, Clive. (1983). *Britain and Saudi Arabia, 1925–1939: The imperial oasis*. London: Routledge.
13. Naumkin, Vitaly V. (2018). Hejaz in the mid-1920s: The first Soviet peacemaking initiative. *Minbar: Islamic Studies*, 11(4), 705–720.

14. Naumkin, Vitaly V. (2023). Kingdom of Saudi Arabia in the late 1920s–early 1930s: Lessons from the Soviet–British competition. *Современная Европа*, 5(119).
15. Page, Stephen. (1971). *The USSR and Arabia: The development of Soviet policies and attitudes towards the countries of the Arabian Peninsula*. London: Central Asian Research Centre.
16. Salibi, Kamal. (1993). *The modern history of Jordan*. London: Tauris.
17. Stupak, A. (1969). Vypolnjaja Leninskij Zavet: Vospominaniya uchastnika pervoj sovetskoj missii v Yemen. *Azija i Afrika Segodnja*, 5.
18. Wilson, George Grafton. (1934). British recognition de facto and de jure of the U.S.S.R. *The American Journal of International Law*, 28(1).
19. Yemelianova, Galina M. (1995). Russia and Islam: The history and prospects of a relationship. *Asian Affairs*, 26(3).
20. Yodfat, Aryeh. (1983). *The Soviet Union and the Arabian Peninsula*. Great Britain.

## References

1. A group of Soviet authors. (1990). *Modern history of Yemen, 1917–1982* (Translated by Mohammed Ali Al-Bahr). Cairo: Madbouly Library.
2. Ahmed, Kamal Mazhar. (1978). *Insights into international issues in the Middle East*. Baghdad: Dar Al-Hurriya Printing Press.
3. Al-Abbadi, Awad (Reviewer). (2004). Book review: *Russian attempts to intervene in the Arabian Gulf, 1880–1907*. *Al-Darah Journal*, 29(1), 985–987.
4. Al-Asadi, Luay Abbas Ghalib. (2013). *Foreign policy toward changes in the Arab region (The events of 2011–2013 as a model)*. Sana'a: Diplomatic Institute.
5. Al-Dosari, Nadia Walid. (2004). Russian attempts to intervene in the Arabian Gulf, 1880–1907. *Al-Darah Journal*, 29(1).
6. Al-Hathlan, Saleh bin Mohammed. (2012). Saudi–Russian relations (Distinct relations rather than a strategic partnership). *Arab Journal of Political Science*, 34, 92.
7. Al-Rashid, Badr bin Sultan. (2007). Saudi–Russian relations. *Al-Diplomasi Journal*, 37, 77.
8. Al-Sahawi, Abdul Hakim. (2015). *Studies in contemporary Asian international relations*. Cultural Publishing House.
9. Al-Sammari, Fahd Abdullah. (2000). Karim Hakimov's mission to meet King Abdulaziz during the siege of Jeddah in 1925. *Al-Darah Journal*, 26(3), 155.
10. Al-Samya, Rana Adel. (2015). *Syrian–Soviet relations (political, economic, and cultural), 1946–1965* (Unpublished master's thesis). Faculty of Arts and Humanities, University of Damascus.
11. Al-Talib, Muzaffar Nadhir. (1985). *Soviet foreign policy in the Arab world (1953–1967)* (Unpublished master's thesis). College of Law and Politics, University of Baghdad.
12. Atiyat Allah, Ahmed. (1968). *The political dictionary* (3rd ed.). Cairo: Dar Al-Nahda Al-Arabiya.
13. Baldry, John. (1984). Soviet relations with Saudi Arabia and the Yemen 1917–1938. *Middle Eastern Studies*, 20(1).

14. Becker, Abraham Samuel, & Horelick, Arnold Lawrence. (1970). *Soviet Middle East policy: Origins and prospects*. Rand Corporation.
15. Bocharov, A. (1999). Schitaem eti vody dostiynymi plavanju vsech natsii: pervye poseshhenija Rossyskimi Korabliami Persidskogo Zaliva. *Morskoj Sbornik*, II, 71–77.
16. Boersner, Demetrio. (1957). *The Bolsheviks and the national and colonial question, 1917–1928*. Geneva: Librairie E. Droz.
17. Degras, Jane. (1951). *Soviet documents on foreign policy* (Vol. 1). New York: Oxford University Press.
18. Degras, Jane. (1956). *The Communist International 1919–1943 documents* (Vol. 1). London: Oxford University Press.
19. Foley, Sean. (2013). Saudi Arabia, the Soviet Union, and modern Islam. *ICR Journal*, 4(1).
20. Jasim, Abdul Manaf Shukr. (1980). *Iraqi–Soviet relations, 1944–8 February 1963*. Baghdad: Local Governance Press.
21. Joffe, A. (1965). Nachalnyi etap vzaimootnoshenij Sovetskogo Sojuza s Arabskimi i Afrikanskimi stranami (1923–1932 gg). *Narody Azii i Afriki*, 6.
22. Kosach, Grigory G., & Melkumian, E. S. (2003). *Vneshnjaja politika Saudovskoj Arabii*. Moscow: The Institute of Israeli and Middle Eastern Studies.
23. Kreutz, Andrej. (2004). Russia and the Arabian Peninsula. *Journal of Military and Strategic Studies*, 7(2).
24. Leatherdale, Clive. (1983). *Britain and Saudi Arabia, 1925–1939: The imperial oasis*. London: Routledge.
25. Mansour, Mamdouh Mahmoud. (n.d.). *The American–Soviet conflict in the Middle East*. Cairo: Madbouly Library.
26. Naumkin, Vitaly V. (2018). Hejaz in the mid-1920s: The first Soviet peacemaking initiative. *Minbar: Islamic Studies*, 11(4), 705–720.
27. Naumkin, Vitaly V. (2023). Kingdom of Saudi Arabia in the late 1920s–early 1930s: Lessons from the Soviet–British competition. *Современная Европа*, 5(119).
28. Page, Stephen. (1971). *The USSR and Arabia: The development of Soviet policies and attitudes towards the countries of the Arabian Peninsula*. London: Central Asian Research Centre.

29. Salibi, Kamal. (1993). *The modern history of Jordan*. London: Tauris.
30. Stupak, A. (1969). Vypolnjaja Leninskij Zavet: Vospominaniya uchastnika pervoj sovetskoj missii v Yemen. *Azija i Afrika Segodnja*, 5.
31. Wilson, George Grafton. (1934). British recognition de facto and de jure of the U.S.S.R. *The American Journal of International Law*, 28(1).
32. Yemelianova, Galina M. (1995). Russia and Islam: The history and prospects of a relationship. *Asian Affairs*, 26(3).
33. Yodfat, Aryeh. (1983). *The Soviet Union and the Arabian Peninsula*. Great Britain.